جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

دراسات أولية : المرحلة الثالثة

المادة : الأدب الأندلسي

عنوان المحاضرة:(النثر في عصري الطوائف والمرابطين)

استاذ المادة: أ. د فائزة رضا شاهين

١٤٤٥هـ **٢٠٢٤م**

النثر في عصري الطوائف والمرابطين

نقف امام نتاج أدبي ضخم حيث ندرس النثر في هذا العصر، فقد قطعت الأندلس شوطا كبيرا في ميدان الادب فظهر أعلام كبار في النثر الاندلسي وابرز هؤلاء أعلام: ابن زيدون وابن اللبانة وابن عبدون وابن خفاجة وابن ابي الخصال وابن بسام ، وأبو محمد بن عبد الغفور الذي يشير الى اشهر الكتاب في عصره بقوله: ((كتاب العصر ورؤساء النثر اربعة: كلاعيان وفهريان ،اما كلاعيان فابو بكر بن القصيرة وابو محمد بن عبد الغفور، واما الفهريان فابو القاسم بن الجد وابو محمد بن عبدون)) ان النصوص النثرية التي تعود لهذا العصر تفوق الحصرفقد تنوعت موضوعاتها فتناولت السياسة والمجتمع والفرد فكانت الرسائل الدينية والاجتماعية ، والاخوية ،والديوانية، والوصفية وانماط من النثر القصصي والمقامات والرسائل الدينية ليست الا جزءا من مجمل تلك الرسائل وذلك امر طبيعي يتسق مع طبيعة الحياة التي كانت تعني بتلك القيم ، وقد لوحظ صلة الكتاب بملوك عصرهم وكانت لهم مواقف من الاحداث المهمة أنداك وصورت الرسائل. طبيعة المجتمع وملامحة والرسائل الاخوانية تعكس لنا العلاقات بين الاصدقاء والاصحاب من الادباء في جميع أحوالهم، وتعتمد أسلوب الهزل والمداعبة لدفع السام عن النفس والترويح عنها.

وقد سجلت الرسائل الديوانية احوال السياسة وطبيعة المشكلات التي تعترضهم والاساليب المتبعة لمعالجتها . وكانت الرسائل الوصفية منسجمة مع البيئة الاندلسية وتفاعل الاديب معها اذ عكس صورة متألقة عنها أما النثر القصصي فقد عالج أموراً خيالية واخرى واقعية عبرت عن المجتمع الاندلسي وقد جنحت في أساليبها إلى السخرية.

فقد لاحظ عدد من الدارسين قلة نصوص الخطابة التي وصلت الينا وهي ضرب مهم من ضروب النثر على الرغم مما يشير إلى رواجها وشيوعها ، كذلك من خصائص النثر في عصر الطوائف ازدياد ظاهرة المزج بين الشعر والنثر مما يستدل على أن الكتاب كانوا يشكل عام شعراء أو انهم جمعوا بين رياستي الشعر والنثر ، وهذا يدل على براعة ادباء الأندلس وذلك لأن الكتابة والشعر شيئان متنافران لتنافر طباع أهلها.

وقد حدد الدكتور حازم عبد الله أبرز خصائص النثر من حيث الشكل والمضمون فمن حيث الشكل ميل الرسائل على عدم الاستهلال بالحمد والصلاة وكثرة احتفالها بجمل الدعاء والاعتراض، وتنويعها بين الشعر والنثر وميلها الى الاطناب، وكثرة الاقتباس من القرآن والحديث، وتضمنها اسلوب الحوار والقصص واسلوب السخرية والفكاهة وكانت الألفاظ المستخدمة تعتمد السجع والازدواج والجناس .

ومن حيث المضمون مالت الرسائل الى نزعة الترادف والتكرار، وكانت في مقدمة تلك المعاني ، المعتقدات والافكار الإسلامية ، كذلك تناولت مشكلات الحياة السياسية ، حيث كانت قوية الصلة بالحكام والأمراء ، كما صورت المجتمع تصويراً دقيقاً إلى حد ما، وجاءت الرسائل الدينية تحفل بقوة العاطفة وقد كانت أقل منها في الرسائل الديوانية .

وقد برز في هذا العصر أدب المناظرات فابدع فيه الاندلسيون وقد عرفه الادب العربي في عهد مبكر فمن امثلته المناظرة التي أجراها الجاحظ بين الكلب والديك وممن اشتهر بهذا الفن أبو الوليد الحميري في كتابه (البديع في وصف الربيع) اذ اجرى محاورات كثيرة بين الازهار ، وأبو عمر الباجي ، والجزار السرقسطي، وابو حفص بن برد الذي اشتهر هذا الفن على يديه لسعه خياله وحسن ذوقه ونفاذ بصره بمواقع الكلام، وميله إلى الاسلوب القصصي الذي افتنى به الأندلسيون، ومن مناظراته مناظرة بين السيف والقلم .

كتب ابن برد رسالة إلى مجاهد العامري وهي مناظرة بين السيف والقلم يذكر فيها خصالهما ومناقبهما وانهما قلما يجتمعان ، وقد اجتمعا بفضل حنكة العامري، وهو هنا يرمز بهما الى الجند والعلماء .

فقال القلم ها ،الله أكبر! أيها المسائل بدعاً يعقل لسانه ، ويحير جنانك ، وبديهة تملا سمعك، وتضيق ذراعك، وخير الاقوال اللحق، احمد السجايا الصدق والافضل من فضله الله عزوجل في تنزيله، مقسماً به لرسوله ، قال: ((ن والقلم وما يسطرون)) وقال: ((اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم..))

فقال السيف عدنا من ذكر الطبيعة الى ذكر الشريعة ومن وصف الخصلة الى وصف الملة لا أسر ولكن أعلن قيمة كل امرئ ما يحسن، ان عاتقا حمل نجادي لسعيد، وان عضدا بات وسادي لسديد، وان فتى اتخذني دليله لمهدي ، وان امرا" صيرني وسيلة لمفدي . ومن الكتب المؤلفة في نثر عصر الطوائف كتاب تسهيل السبيل الى تعلم الترسيل لابن عبد الله الحميدي ت ٤٨٨ هجرية الفه سنة ٤٥٤ هجرية هو جميع رسائله تدخل في باب الاخوانيات وقد اراد من تأليفه ان تكون فصوله وامثلته قوانين لمن أراد تحسين لفضه وتقويم لسانه ومدارة اهل زمانه وخص به المتعلمين المبتدئين ويسهل كتابه بالحديث عن ضروب البلاغة في الخطب والتأليف والرسائل كما يحدثنا عن الفصاحة وبعد التمهيد ينتقل إلى الحديث عدة الكاتب الجيد وصفات المداد والقلم والورق وللاندلسيين رسائل في هذا المجال ، ويعد كتاب احكام صنعة الكلام لمؤلفه محمد بن عبد الغفور الكلاعي ٥٥٠ هجرية من اوسع الكتب في عصر المرابطين ومؤلفه اديب بارع كان ابوه وجده ناثرين كبيرين وشاعرين كبيرين وذكرت الكتب التي ترجمة له اجتمع مع صديق له في اربعة مجالس وحين جرى الحديث في ضروب الفصاحة والبلاغة اتهمه صاحبه بان لا يعرف كيف يكتب في السلطانيات تلك التهمة دفعته الى تاليف كتاب على مثال السجع السلطاني لابي علاء ثم عاد ابن عبد الغفور ليثبت تفوقه فكتب رسالة (الساجعة والغربيب) معارضة لرسالة ابي العلاء (الصاهل والشاجح) ثم عارض سقط الزند بتاليف سماه ثمرة الالباب .

ثم ينتقل ابن عبد الغفور الى فصل آخر يتحدث عن الترجيح بين المنظوم والمنثور وان المنظوم مزين بالوزن والقافية فان فضل المنثور على المنظوم، وادلته في ذلك دينية معتمداً على تفسير الآيات والأحاديث . وبعد أن يعددعيوب الشعر يخلص الى انه لا ينكر فضائله ولكن سوء استعماله هو الذي يجعله ينظر اليه هذه النظرة. وبعد ان استقرت له اهمية النثر وضع كتابه (احكام صنعة الكلام) ليتحدث في فصل عن الكتابة وأدابها في الباب الأول يتناول فيه رتبة الخط ، وتسوية البطاقة، والعنوان والاستفتاح والصلاة على النبي وصدور الرسائل ، والدعاء،

والسلام في أحد عشر فصلاً، ويتناول في الباب الثاني انماط الترسيل العاطل والحالي والمصنوع والمرصع وغيرها في ثمانية فصول ثم يفرد فصولاً في الخطبة والمقامات وغيرها .

اشهر المؤلفات في عصري الطوائف والمرابطين :

رسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد الاندلسي (٤٢٦ه) تعريف المؤلف: هو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن شهيد وكنيته أبو عامر اشجعي يرجع نسبه إلى الوضاح الذي كان مع الضحاك بن قيس بن مرج راهط سنة ٦٥هـ . ورث المجد عن ابائه فقد كان جده الأعلى وزيراً للأمير محمد بن عبد الرحمن وجده الأدنى وزيراً للخليفة الناصر وابوه عاملاً للمنصور بن أبي عامر ولد بقرطبة سنة ٣٨٢هـ. وتقلب في أحضان النعمة ومهاد السعادة فمال إلى اللهو والبطالة ومال إلى الفكاهة وتفاعل مع أحداث عصره، وصور لنا فتنة قرطبة والحياة الأدبية فيها حتى توفي سنة ٤٢٦هـ.

التوابع والزوابع :

التوابع جمع تابع وتابعة ومعناها الجني والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه حيثما ذهب والزوابع جمع زوبعة اسم الشيطان ، ويقال في الزوبعة شيطان مارد، كذلك يطلق على رئيس الجن. وقد اطلقت تسمية التوابع والزوابع على رسالة خيالية كتبها ابن شهيد متصوراً نفسه في رحلة مع جني يسميه (زهير بن نمير) يرحل إلى ارض الجن حيث يلتقي هنالك بتوابع الشعراء وزوابعهم، وقد وصل من هذه الرسالة مجموعة فصول ادرجهم الباحثون ضمن الإطار القصصي، ويجري فيها المحاورات والمناظرات الادبية على لسان توابعهم فينزع اعجابهم بعد ان يسمعهم امثلة من اشعارهم وفي صدر هذه الرسالة يخاطب ابن شهيد رجلاً بكنيته أبا بكر لله ظن رميته فاضميت) وتعددت الآراء حوله وقد توهم انه أبو بكر بن حزم، وقد رجح الدكتور هيكل ان المقصود هو أبو بكر الملقب بأشكمياط الذي ترجم له الحميدي والضبي فصولها التي تتالف الرسالة من مقدمة سماها (صدر الرسالة) واربعة فصول، وجعل اعجاب ابي بكر بشاعريته على صغر سنه حيث عزها الى تابعة لتنجده وزابعة تؤيده مدخلاً يعلل سبب رحلته الى عالم الجن ويصحب فارساً من الجن اسمه زهير بن نمير يلتقي في الفصل الأول بتوابع الشعراء والخطباء ، وفي الفصل الثاني بتوابع الكتاب ويسميهم (الخطباء) فيرى تابع للجاحظ وعبد الحميد ويقرأ عليهم رسائله، وفي الفصل الثالث يتذاكر مع الجن معاني الشعر ويورد نصوصاً للافوه الاودي والنابغة وابي نؤاس وابي تمام اما الفصل الرابع فيتألف من مشهدين، الأول : يلتقي بقطيع من حمر الجن ويحتكمون اليه في قصيدتين ، والثاني : يلتقي بأوزه بيضاء شهلاء يسألها ويحاورها.

مصادرها:

أ-التراث العربي : يتصل بإيمان الشعراء في الجاهلية بالشياطين التي تعينهم على قول الشعر وهي جزء من الأوابد وقد وصلت الينا عن طرق اشعارهم من ذلك قول أبي النجم العجلي : اني وكل شاعر من البشر – شيطانه انثى وشيطاني ذكر وقد هذب الاسلام تصور العرب عن الجن فأقر بوجودهم وأن لهم عالما مثل عالمنا ، وأنهم

أمة فيها الصالح وفيها الطالح يروننا ولا نراهم، قال تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ((الاعراف ٢٧)) وكذلك وردت سورة في القرآن الكريم باسم (سورة الجن) ب - حادثة الإسراء والمعراج التي ثبتت صحتها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

اهميتها وقيمتها الأدبية :

تعد هذه الرسالة بكراً في مجال الرسائل وتبدو قيمتها من حيث أسلوبها الأدبي المتميز الذي يتضمن ضروباً من المزح الشعر والنثر باسلوب قصصي يتضمن الحوار والمساجلة واستنطاق الحيوان تكمن أهميتها النقدية التي تمثل نزعة استفوت في القرن الخامس الهجري وحاولت اثبات البراعة والتفوق لأهل الأندلس وتحقيق الذات بعد ان واجهوا من المشرق ازدراء وانكارا لمكانتهم وبراعتهم واستطاع ابن شهيد ان يلغي امكانية اجتماع الشعر والنثر والبراعة لدى اديب واحد وهي فكرة تبناها المرزوقي فيما بعد . وقد احتدم نقاش بين الدارسين حول قيمة هذه الرسالة ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري ومدى تأثر احداهما بالأخرى، وتبع هذا النقاش نسبة الابتكار لأهل المشرق تارة ولأهل الأندلس تارة أخرى، ومنهم من يرى أن كلا الشاعرين أخذا من أصول واحده وأن فكرة الشياطين وردت عند بديع الزمان الهمداني (٣٩٨هـ)) في مقاماته الابليسية، ومنها استمد ابن شهيد مباشرة. ولكننا نجد كلتا الرسالتين كانتا رحلة الى عالم الغيب وعالم الجن وعالم الآخرة ، وقد ناقشت بنت الشاطيء رسالة الغفران وكان تاريخ تاليفها متفق عليه ٤٢٤ عام هجرية ولقد رأى الدارسون في أن تأليف التوابع والزوابع بين عامي ٤١٤ -٤١٥ هجرية مما ينفي احتمال تاثر ابن شهيد بالمعري بل ربما كان المعري هو المتاثر بها .

٢- الرسالة الجدية والهزلية لابن زيدون (٤٥٦هـ). حظيت الرسالتان بقسط وافر من عناية الدارسين والشرح شرح الرسالة الجدية صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) بكتاب (تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون) وشرح ابن نباتة المصري (٧٦٨هـ) الرسالة الهزلية بكتاب سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ومن مميزات أو خصائص الرسالتين فيهماأ- إطالة واطناب والرسالة الجدية اقل اسهاباً وأكثر اتزاناً وتعقلاً من الهزلية. ب- فيهما صناعة لفظية معتمدة على السجع وازدواج العبارة ولقد بلغ في صنعته من ذوق اصحاب التصنع في المشرق. ج- تشترك الرسالتان في قوة الخيال وكونه عنصراً مهماً في التعبير والتصوير. د-تشتركان في الاكثار من استعمال الامثال والحكم وذكر الأحداث التاريخية. هـ - تذكر من وقائع القرآن الكريم وحوادث الاسلام الحنيف.

يظهر ابن زيدون اسلوب ابن العميد (٣٦٠)هجرية الذي يعتمد السجع والازدواج معا منهجا واسلوب الجاحظ في رسالته الهزلية ، قال ابن زيدون في رسالته :-الرسالة الجدية ((يامولاي ، أبقاك الله ، ماضي حد العزم، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة ، ان سابلتني – اعزك الله -لباس نعمائك ، وعطلتني من حلى ايناسك، واظمأتني إلى برود اسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك . وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد ان نظر الأعمى إلى تأميلي ، وسمع الأصم ثنائي عليك ....))

الرسالة الهزلية: أرسلها إلى الوزير ابن عبدوس((أما بعد : أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اعتزازه ، الأعمى في شمس نهاره الساقط سقوط الذباب على شرابه المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ، فان العجب الكذب معرفة المرء نفسه الصواب ....)).